سعيد آل قانع..الطبيب الطموح

الطبيب الشاب سعيد عائض آل قانع (٢٦ عاماً) كالسكّر. أبيض ويذوب في داخلك بسرعة. شاب شكلا لكنه كهل مضمونا. عميق كبئر سحيقة. عندما تلتقيه أو تسمعه أو تقرأه ستنحاز له، وتهطل كسحابة سخية قائلا: «سيكون مهما. سيكون نجما».

ولد سعيد في محافظة سراة عبيدة، مهد المبدعين، التي أنجبت الدكاترة علي الموسى وسليمان الهتلان ومسفر علي القحطاني. نشأ في قرية الوهابة بمحاذاة جبل حنيف، الذي طالما تسلق سيقانه هو وإخوته.

ترتيبه الثاني بين أشقائه العشرة. شقيقه الأكبر سعد طبيب جراحة مخ وأعصاب، ومبتعث حاليا في جامعة أوتاوا في كندا. أما شقيقه نواف الذي يصغره بثلاث سنوات فيدرس طب

الأسنان، وعلي يتخصص في الحاسب الآلي. في حين يتابع بقية إخوته تعليمهم في مراحلهم الدراسية المختلفة.

تجاهل والده الفرص التي غازلته فور تخرجه في جامعة أدنبرة عام ١٩٨٣ لينكب على العناية بأبنائه. فقد كان يؤمن بأن الاستثمار الحقيقي ليس في تشييد العمارات وشراء العقارات بل في الأبناء، ما أثمر عن ثلاثة أطباء حتى اللحظة يفيضون طموحا وتميزا.

أما أمه فيبكي على أغصانها كطفل عندما يحزن. ويتكئ على جذعها لينهض. فقد باعت أغلى ما تملك، وهي (قلادة ذهب)، قدمتها لها أمها عند زواجها قبل ٢٧ عاما، عندما كان سعيد في حاجة إلى مال قبيل زواجه.

ويستمد العطف والإنسانية من يديها التي رعت لسنوات جدته (أم أبيه) المقعدة برفقة ابتسامة لا تنضب.

درس سعيد جميع مراحله الدراسية من الابتدائية إلى الثانوية في المبنى نفسه. ويضحك عاليا كلما تذكر أنه درس الثانوية العامة في الفصل نفسه الذي درس فيه الأول ابتدائي. كانت تجمعه مع رفاق فصله الأربعة عشر صفات مشتركة ولياقة مرتفعة.

الكل مجتهد ومثابر كأنهم في ماراثون مرموق. ١٢ من زملائه يدرسون حاليا الطب وطب الأسنان والهندسة في أمريكا وبريطانيا سوى اثنين قضيا نحبهما إثر حادث مروري.

ولا يزال سعيد يتذكر تشدد بعض أساتذته في ثانوية (زيد بن حارثة) في سراة عبيدة. فقد كان شاهدا على خلافات شديدة نشبت بينهم أذكت التطرف في مدرسته.

كان بعضهم يحاول أدلجة الطلاب ضمن أنشطة طابعها التشدد والغلو وخصوصاً فيما يتعلق بالآخر. كان الشتم والتخوين لكل من يختلف معهم. يحرث ذاكرته: «كانوا يمنعوننا من التصوير في الحفلات المدرسية، ومن التصفيق للطلاب المتفوقين أثناء توزيع شهادات الشكر والتقدير».

تخرج سعيد في الثانوية العامة بتقدير ممتاز، ونسبة ٩٩,٧٤٪، وحصل على جائزة أبها للتفوق الدراسي في حينها. تم قبوله في كلية الطب في جامعة الملك سعود في الرياض، وقُبل أيضاً في كلية الطب في جامعة الملك خالد في أبها. واختار أبها نزولاً عند رغبة أمه التي ناضلت ليبقى قريبا منها.

ومن أبرز المشاكل التي واجهت سعيد في الجامعة «البيروقراطية والراديكالية والتشدد المنتشر بين بعض أعضاء

هيئة التدريس وبعض الطلبة في جامعة الملك خالد». كما يصف الطبيب آل قانع عدم وجود مستشفى جامعي للكلية منذ أكثر من ثلاثين سنة بـ «معضلة أكاديمية حقيقية».

تخصص سعيد في أمراض المخ والأعصاب لندرة التخصص في المملكة ولملاءمته مع شخصيته في حل الأمور المعقدة وتحليلها. فالتخصص صعب جداً ومفخخ ويحتاج إلى جسارة ومغامرة وتحد.

لم يجد سعيد صعوبة في تقبل الاختلاط في مجال الطب، فهو ينطلق في تعامله مع المرأة من منطلق الشراكة والتقدير المتبادل، ويؤمن بأن الفصل الكبير بين الجنسين في مجتمعنا أسهم في اتساع الهوة بين الطرفين خلاف ما كان في عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم، حينما كانت المرأة تشارك في كل شؤون الحياة وتغزو مع الرسول وتطبب الجرحى وتبيع وتشتري.

سأصفق لسعيد طويلا طويلا حتى لو منع التصفيق في سراة عبيدة.

نشر في يوم السبت ٢٥ رجب ١٤٣٠. ١٨ يوليو ٢٠٠٩

سلطان العذل...قصة تهز الوجدان وتحرك الأبدان

كلما شاهدتُ عالم الفيزياء البريطاني، ستيفن هوكينج (٦٨ عاماً)، وهو يحاضر بعينيه، تخنقني العبرة وتحتشد الدموع خلف أحداقي. وأسأل نفسي لماذا لا يعيش بين ظهرانينا إنسان بطموحه وقدرته على إبادة اليأس؟ لماذا ليس لدينا شخص يلاحق أحلامه الغفيرة بكرسي متحرك؟ فستيفن المصاب بالتصلب الضموري العضلي الجانبي المعروف بـ ALS، الذي خدر كل عضلاته وشل حركته، ولم يعد بوسعه التعبير إلا عن طريق عينيه، استطاع أن يملأ الغرب بالأمل. أشعل جذوة الحياة في نفوس الكثير من المرضى والأصحاء عبر كفاحه غير المسبوق.

اكتشفتُ أخيرا أنني كنت مخطئا. فلدينا من يشبه هوكينج. من لديه قصة معاصرة تستحق أن تروى في مدارسنا، وفي

جامعاتنا، وفي منازلنا، لكن مع الأسف لم يسلط الضوء عليها، لم تقدم لنا لنتناولها بدلا من أطباق القصص المستوردة المعلبة التي لا تقيم الأود.

إنها قصة المهندس سلطان محمد صالح العذل (٥٠ عاما)، المصاب بمرض هوكينج نفسه. المرض الذي عطل عضلاته، لكن لم يكبح طموحاته. فسلطان الذي تخرج متفوقا في الهندسة الكهربائية من جامعة بورتلاند بأمريكا عام ١٩٨٠ يمتلك قصة نجاح تهز الوجدان وتحرك الأبدان، فعندما ابتلاه الله بالمرض شابا في عام ١٩٩٧، وهو في مقتبل حياته العملية في القطاع الخاص لم يقنط من رحمته سبحانه وتعالى. استقبل الخطب الجلل برباطة جأش وثبات. لم يستكن للألم أو يرضخ للحزن أو ينتظر الموت ليسحبه من فراشه. أكمل مشواره الذي بدأه قبل مرضه بتأسيس شركة سمسا/ فيديكس للشحن السريع .. كأن شيئا لم يكن. استطاع أن يتكيف مع ظروفه الجديدة متسلحا بإرادة حديدية تحطم الصعاب. فقد أصبحت اليوم شركته تغطي أكثر من ٢١٠ مدن وقرى في المملكة، وتمتلك ١٠٥ أفرع. يقول لي ابنه الشاب نايف، مدير الشركة التنفيذي، إن والده خلف النجاح الهائل الذي تعيشه الشركة بفضل متابعته وأفكاره. فوالده سلطان يعمل ساعات طويلة يوميا، ويشرف على

كل صغيرة وكبيرة، ولا يتمتع بأي إجازة سنوية. فمتعته الحقيقية تكمن في توسع شركته ونموها. واستشهد نايف بالجهد الوافر الذي بذله والده خلال الأزمة المالية العالمية الأخيرة، الذي مَكَّن الشركة من تحقيق نمو لافت في أرباحها على عكس شركات عدة تكبدت خسائر بالجملة.

لم يكتفِ المهندس سلطان العذل بالنجاح الكبير الذي حققه في مجال الشحن السريع في المملكة ،إذ أسس نحو سبع شركات أخرى في مجالات مختلفة يشبع من خلالها نهمه وطموحه الذي لا ينتهي.

عدم قدرة العذل على الكلام واحتضان القلم أو العزف على كيبورد الكمبيوتر لم يحرمه من ممارسه شغفه بالبحث والكتابة، فقد أنفق العذل الكثير من وقته وماله باحثا ومستكشفا. ألف أخيرا كتابا يتناول أسرته وتجربته وزعه على أقربائه. يصفه الأستاذ محمد الفريح، مدير النشر المتخصص في شركة العبيكان، وهو يحمله بكلتا يديه: «إنه ليس ثقيلا حجما فحسب، بل قيمة أيضا».

كتب العذل ٢٠٠٠ صفحة بعينيه عبر لوحة خاصة للمصابين بـ ALS. زرع كل حرف ببصره، وبقلبه، فيما بعضنا يعجز عن كتابة سطرين لأمه أو من يحب! إن أكثر ما يدهشك في سلطان العذل هو الحبور الذي يعلو ملامحه. فهو يؤمن بأن من يزرع

البسمة في وجهه، يحصد السعادة في قلوب الناس. هذه البهجة التي تقود العذل رغم معاناته نأمل أن تتفاقم في مجتمعنا الذي يسوده التشاؤم. أن يقطفها أطفالنا من مناهجنا ومكتباتنا وشاشاتنا؛ ليعم التفاؤل الذي ينشده أي غيور على الوطن. فنحن في أمس الحاجة إلى أمثلة نقتفي أثرها. تعزز أحلامنا وتجفف منابع يأسنا. لو نبت العذل في أرض أخرى لتصدرت صوره أغلفة المجلات والقنوات، لكن مع الأسف نسيناه وانشغلنا بلاعب نزق وجمل نفق! قصة نجاح العذل ومن على شاكلته من الصابرين المبدعين يجب أن تنتشر.. تتغلغل في أعماقنا. أن ترافقنا أينما ذهبنا. تسافر معنا في أحشائنا حتى لا نتقاعس أو ننتحب عندما نصاب برشح أو صداع أو جزع.. عندما تجرحنا سكين أو خيانة.

طموحاتنا يجب ألا تموت أو تتهشم مهما تعرضنا لهزات وإحباطات. مهما تعرضنا لأمراض أو ابتلاءات. فكما يقول نابليون بونابرت: «إنك بالإبرة تستطيع أن تحفر بئرا». فمن يستطيع أن يتنفس بوسعه أن ينال أحلامه مهما كانت حدة آلامه، ولنا في كفاح العذل عبرة يا أولي الألباب.

نشر في يوم السبت ١٣ ربيع الأول ١٤٣١. ٢٧ فبراير ٢٠١٠